



ديوان العرب



"الصحاليك"



الصَّعَالِيكُ: هُمْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَفْرَادِ عَاشُوا فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي عَصْرِ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَهُمْ يَنْتَمُونَ إِلَى قَبَائِلَ عَرَبِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ سُلْطَةِ الْقَبِيلَةِ، بَعْدَ أَنْ طَرَدُوا وَعَاشُوا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي الْغَزْوِ وَالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ. وَقَدْ نَبَغَ مِنْهُمْ عَدَدٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ تُعَدُّ قِصَائِدُهُمْ مِنْ عَيُونِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ. وَمِنْ أَشْهُرِ الشُّعْرَاءِ الصَّعَالِيكِ: عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ وَالسَّلِيكُ بْنُ السُّلَكَةِ وَتَابِطُ شَرًّا وَالشَّنْفَرِيُّ.

الصُّغْلُوكُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْفَقِيرُ الَّذِي لَا يَمْلِكُ الْمَالَ الَّذِي يُسَاعِدُهُ عَلَى الْعَيْشِ وَتَحْمُلِ أَعْيَاءِ الْحَيَاةِ. وَلَكِنْ لِلصُّعْلَكَةِ وَجْهٌ آخَرٌ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّهَا قَامَتْ عَلَى السَّلْبِ وَالنَّهْبِ، فَإِنَّ الْمَقْصَدَ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ كَانَ إِطْعَامَ الْفُقَرَاءِ مِنْ أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ، وَكَأَنَّهُمْ يُؤَكِّدُونَ أَنَّ لِلْفَقِيرِ حَقًّا فِي مَالِ الْغَنِيِّ. مِيزَةٌ أُخْرَى غَلَبَتْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّعَالِيكِ، وَهِيَ عَدَمُ تَعَرُّضِهِمْ فِي غَارَاتِهِمْ وَغَزَوَاتِهِمْ لِلْأَسْيَادِ الشُّرَفَاءِ وَإِنَّمَا لِلْأَغْنِيَاءِ الْبُخْلَاءِ، وَهَذَا الْمَبْدَأُ مِثْلُهُ سَيِّدُ الصَّعَالِيكِ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ، وَالَّذِي شَبَّهَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ سِيرَتَهُ بِسِيرَةِ (رُوبِنْ هُودِ)، قَاطِعِ الطَّرِيقِ الْأَنْكَلِيزِيِّ الَّذِي كَانَ يَسْرِقُ الْأَغْنِيَاءَ لِيُطْعِمَ الْفُقَرَاءَ.

كَمَا عُرِفَ عَنِ الشُّعْرَاءِ الصَّعَالِيكِ اعْتِرَازُهُمْ وَقِنَاعَتُهُمْ بِالْفِعْلِ الَّذِي يَقُومُونَ بِهِ، فَضْلًا عَنْ تَحْلِيهِمْ بِالصَّبْرِ وَالشُّجَاعَةِ وَالكَرَمِ، لِأَنَّ مَا يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ يُوزَعُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْمُحْتَاجِينَ، فَكَانَ شِعْرُهُمْ تَرْدِيدًا لِصِيحَاتِ الْفَقْرِ وَالْجُوعِ وَالْحَرَمَانِ، وَنَقْمَةً عَلَى الْأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ عُرِفُوا بِالسُّخِّ وَالْبُخْلِ.

أَمْتَهَنَ الصَّعَالِيكُ غَزْوَ الْقَبَائِلِ، وَلَمْ يَعْتَرَفُوا بِالْمُعَاهَدَاتِ وَالْأَعْرَافِ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى طَرْدِهِمْ مِنْ قَبْلِ قَبَائِلِهِمْ، وَبِالنَّاتِي عَاشُوا حَيَاةً مُتَمَرِّدَةً تُحَارِبُ الْفَقْرَ وَالْإِضْطِهَادَ وَتَسْعَى إِلَى التَّحَرُّرِ، وَقَدْ عَبَّرَ الصَّعَالِيكُ مِنْ خِلَالِ شِعْرِهِمْ عَنْ رُؤْيَيْتِهِمْ لِلْحَيَاةِ، فَجَاءَتْ مُعْظَمُ قِصَائِدِهِمْ مُعْبَّرَةً عَنِ شَجَاعَتِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ وَتَحَدِّيهِمْ لِلْمُجْتَمَعِ. وَشِعْرُهُمْ يَمْتَّازُ بِقُوَّةِ الْعَاطِفَةِ وَسَعَةِ الْخِيَالِ، وَفِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ الشَّيْءِ الْكَثِيرِ. وَمِنْ مُمَيِّزَاتِ شِعْرِهِمْ الْخُلُوعُ مِنَ الْمَقْدَمَاتِ الطَّلِيَّةِ (الْوُقُوفُ عَلَى آثَارِ الدِّيَارِ)، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ كَسَرَ بُنْيَةَ الْقَصِيدَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، كَمَا خَلَا شِعْرُهُمْ مِنَ الْمَدْحِ وَالطُّوْلِ فَانْتَهَجُوا شِعْرًا جَدِيدًا.

إِذَا: فِيهِ نَهْجُ الصَّعَالِيكِ وَسُلُوكِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ خِصَالٌ حَمِيدَةٌ وَأُخْرَى غَيْرُ حَمِيدَةٍ، وَلَكِنْ مَعَ مَجِيءِ الْإِسْلَامِ قَلَّتْ ظَاهِرَةُ الصُّعْلَكَةِ، إِذْ حَدَّ الْإِسْلَامُ مِنْ انْتِشَارِهَا فِي دَعْوَتِهِ إِلَى تَحْقِيقِ الْعَدَالَةِ وَالتَّكَافُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَتَكَافُؤِ الْفُرْصِ بَيْنَ النَّاسِ. فَالصُّعْلَكَةُ ظَهَرَتْ نَتِيجَةً لظُرُوفٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ غَيْرِ عَادِلَةٍ، وَقَدِمَتْ أَيْضًا عَدَدًا مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُجِيدِينَ.

الأطلال: ما بقي شاخصاً من المنازل والديار المتروكة المهجورة.